عادل الترتير والبوصلة المسرحيّة التّحرريّة

"فالمسرح، بتنوّع خشباته، يجب أن يكون دوماً مساحة للجدل وللنّقد الذّاتيّ، وحيّزاً منحازاً لقضايا المضطهدين، وبوصلة للتّحرّر والانعتاق، وعنواناً للأمل. فكلّما تراكمت هموم المسرح والمسرحيّين وتبدّدت آمالهم وتبعثرت أحلامهم، فلنعلم يقيناً وجميعاً – كثقافة وكمجتمع وكقضية – أنّنا لسنا بخير".

هذه كلمات عادل الترتير، الفنان المسرحيّ والحكواتيّ وصاحب صندوق العجب وأبو المسرح الفلسطينيّ، والذي وافته المنيّة في رام الله في 10 تموز 2025.

د. علاء الترتير (فلسطين)

تختزل هذه الكلمات جوهر فلسفته المسرحيّة، وتجسّد روح المقاومة التي حملها، وتعكس الدّور الذي تصوّره للمسرح في عملية التّحرّر. هو الذي قال مراراً وتكراراً: "نحن لا نعيش المسرح فحسب، بل نتنفّسه"، وحاجج دوماً بأنّ المسرح هو أساساً "مساحة وساحة وفضاء وخشبة للبوح والكشف والتّحريض والجدل والاشتباك المبدع". وفي آخر لحظاته على فراش الموت، ذكّرني قائلاً: "حياتنا المسرح والمسرح حياتنا".

لم يقتصر فعله وإيمانه على تصوّر كلّ هذا والتّنظير به، ومجرّد حمل تلك المثل العليا والقيم فحسب، بل عاشها ومارسها بكلّ تفانٍ، وكانت دوماً تقود فعله المبدئيّ، ولم يساوم عليها أبداً أبداً. كان حريصاً كلّ الحرص على نقاء المسرح في مهمّته، ومصمّماً على الحفاظ على وضوح الرّؤية والاتجاه الاستراتيجيّ لمسرحه، ومصّراً على أنّ إنتاج أيّ عمل مسرحيّ حقيقيّ هو في جوهره فعل مقاومة.

كان يرى ويؤمن أنّ المسرح الحقيقيّ هو عطاء لا مُنْتَهٍ، وأنّ الإنتاج المسرحيّ الرّصين لا يُقاس بقدر التّعقيدات السّينوغرافيّة وبذخ الدّيكور على خشبة المسرح، ولا يُقاس بعدد المموّلين وشعاراتهم على البوسترات والمطبوعات، ولا بقدر "غربيته" لتبرير "عصريّته" لمجتمع المانحين.

في كلّ يوم مسرح، في 27 آذار من كلّ عام، كان يمارس طقوسه المسرحيّة السّنويّة، ويجدد الالتزام بمواصلة تشكيل وبلورة الرّؤية الجماعيّة للمسرح الذي كان يسعى دوماً لرؤيته. وفي ذاك اليوم، كان يطلق صوته ودعوته لمسرحيّي فلسطين للتوحّد ولشحذ الهمم لبناء مسرح قادر على العطاء والدّيمومة والاستمراريّة، مسرح صادق يعلي الشّغف والأمل.

كان دائماً يدافع عن رؤية مسرحيّة جمعيّة وجماعيّة وتقدميّة ومناهضة لكلّ أشكال القمع والاضطهاد. وكان

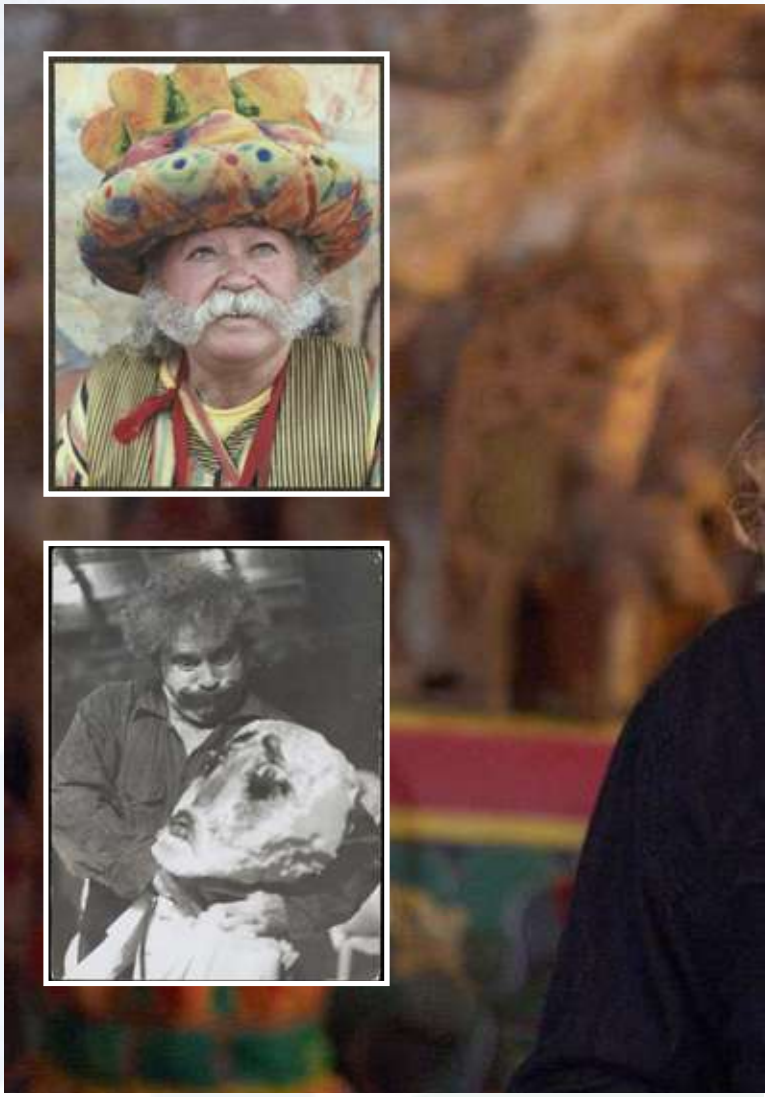

بكلّ عناد، وعلى مدى عقود، يدعو للتجمّع لتأسيس أو على الأقل للحلم بمسرح "يتّسع لنا جميعاً، وبجسم مسرحيّ يمثّلنا ويُعَنْون همومنا ويلبّي تطلّعاتنا وطموحاتنا".

كان ينادي بشغف لحركة مسرحيّة حقيقيّة، نقيّة، صادقة، إنسانيّة، تترابط عضويّاً مع الفنّان الإنسان، ومع نهج المسرح كحياة، ومع الإبداع العابر للحدود، والذي يقاوم كلّ أشكال الاضطهاد، ويسير في نهج الانعتاق. وبعمله المتفاني المخلص الدّؤوب، حوّل المسرح إلى مساحة للتّفكير الجماعيّ والتّحدي والمواجهة، مانحاً الصّوت للمضطهدين والكرامة للمظلومين والمستلبة حقوقهم.

هذا هو وهكذا كان عادل الترتير، وتلك هي وهكذا كانت القيم والمبادئ والفلسفة التي مثّلها: كان البوصلة المسرحيّة التّحرريّة.

لأكثر من نصف قرن، كرّس عادل الترتير حياته للمسرح، ووضع أسس حركة المسرح الفلسطينيّ المعاصر، وحمل هذه المبادئ طوال مسيرته المسرحيّة من مسرح السّقيفة إلى فرقة بلالين، وإلى مسرح صندوق العجب منذ عام 1975، ولعب دوراً تنويريّاً وتحريضيّاً وتوعويّاً وتحرّريّاً؛ الدّور الذي كان يتصوّره ويؤمن به دائماً للمسرح.

في أوائل التّسعينيّات، ومع جملة التّغيّرات السّياسيّة والتّحوّلات التي حصلت في الأرض المحتلة، دفعته الظّروف للإبداع وللابتكار أكثر، وبدأ مرحلة جديدة مع صندوق العجب، موجّهاً اهتمامه نحو بذور المستقبل، الأطفال.

وعلى مدى أكثر من ثلاثين عاماً، لم يتوقّف عن التّجريب والتّطوير المستمرّ لهذا الشّكل المسرحيّ، وصمّم وأنتج وطوّر اثني عشر صندوق عجب بأحجام وأشكال وآليّات مختلفة، يروي ويحتفل من خلالها بالقصّة الفلسطينيّة. وقد عمل كحارس للرّواية والحكاية الفلسطينيّة وللموروث الثّقافيّ، وكُرّم كأحد أعظم الحكواتيّين في العالم العربيّ.

أحيت صناديق العجب، بجمالها كقطع فنّيّة أصيلة صنعها الترتير بيديه وبوظيفتها كأداة للحكي والرّواية، حكايات الهويّة، والذّاكرة الثّقافيّة، والعدالة، والمقاومة. هذه الولادات المختلفة لصناديق العجب هي ثمرة الإصرار وتعبير حيّ للدّيمومة والاستمراريّة والاستقلاليّة، المقاومة والمناهضة لكلّ أشكال تجريد المسرح من دوره الطّليعيّ التّوعويّ التّحريضيّ التّحرّريّ.

دوماً كان صاحب الدّعوة الدّافئة للانضمام إلى عالمه السّاحر وعالم صناديق عجبه، فكان عادل الترتير وشخصيّة أبو العجب التي ابتكرها، وكلّ صناديق عجبه، ومدارسه المسرحيّة، ومسرحه المتكامل، يدعوننا للانضمام لرواية وسرد القصّة الفلسطينيّة، ويدعوننا دوماً لنتخيّل، ونتذكّر، ونبدع، ونروي، ونحكي.

1. فيلم حكاية عادل: الفنّان المسرحيّ عادل الترتير، فيلم وثائقي قصير يوثّق محطات رئيسة من المسيرة المسرحيّة لعادل الترتير من تصوير وإخراج: نوال أبو زيد . لمشاهدة الفيلم، اضغط\ي هنا
https://adeltartir.com/film/
2. حكايات أبو العجب، حكايات العابرين - الجزيرة الوثائقيّة، 2018، لمشاهدة الفيلم، اضغط\ي هنا
https://www.youtube.com/watch?v=POKle71aQtA
3. صندوق العجب – عادل الترتير، YPlus، 2023، لمشاهدة الفيلم، اضغط\ي هنا
https://www.youtube.com/watch?v=WAaV2nrH5WM
4. المجموعة الأرشيفيّة للفنان المسرحيّ عادل الترتير، الأرشيف الرّقميّ للمتحف الفلسطينيّ، لمشاهدة الفيلم، اضغط\ي هنا
https://www.facebook.com/reel/3162714250706764
5. المعرض التّكريمي (سيرة حياة صناديق العجب)، تقرير فيديو أعدته نادين بيادي، 2025، لمشاهدة الفيلم، اضغط\ي هنا
https://www.facebook.com/reel/1485640735945937
6. الموقع الالكتروني الرّسميّ للفنان المسرحيّ عادل الترتير، أطلق في تموز 2025:
www.Adeltatir.com